على دربه شممت رائحة الزعتر ولون الزيتون الذى أصبحت أكره غصنه الممتهن فى رسومات السلام!، وبصحبته تعلمت كيف تكون كراهية إسرائيل فى دمى ودموعى وابتسامتى .. وأغنيتى!

«مرسيل خليفة» لم أكن أتصور أنى سأكبر يوما لأكتب عنه.. لذا لن أنجح مهما حاولت .. فمهما تقدم آباؤنا فى السن وعادوا إلى طفولتهم ينتظرون لمس أيدينا الكبيرة ، سيظلون هم الأشجع والأكبر .. وستظل لحية مرسيل غابة كثيفة ترهبنى وتغرينى بالدخول فيها لألوذ «بالسنديان» فى زمن «العوسج» وها أنا أفعل !

..

..

عندما رست الديناصورات المنهكة على شواطئ «أوسلو» و«مدريد» وغيرهما. عندما سال الماء بدلا من الدماء عبر شاشاتنا وصحفنا وأغانينا كان كثيرون يسألون متندرين وساخرين بابتسامات لزجة: ماذا سيغنى مرسيل خليفة بعد السلام؟.. وعندما عادت الدماء لتسيل علينا بدلا من الماء وقبل أن يكمل الساخرون «عليكم» بعد «السلام» لم يجد الكثيرون ما يشعرهم بقليل من الاحترام إلا أغانى «مرسيل»، وعادوا إلى «منتصب القامة أمشى/ مرفوع الهامة أمشى» لترفع هاماتهم ولو قليلا تحت القصف الإسرائيلى وتذكّروا «فى كفى قصفة زيتون/ وعلى كتفى نعشى» ليجدوا شيئا يقولونه حول نعوش الشهداء التى تبحث عن نعش !